

سياسة إيران الإقليمية حيال منطقة الخليج العربي بعد 2003 في ظل مؤثري ادراك الماضي والتحويلات الراهنة في هيكل النظام الدولي

أ.م.د. توفيق نجم الأنباري\*

### الملخص :

تُعبّر السياسة الإقليمية الإيرانية حيال منطقة الخليج العربي بعد عام 1979 عن استمرارية لسياستها قبل هذا التاريخ . فقد ظل السعي للهيمنة على المنطقة، سمة منظورة في سياسة ايران الاقليمية. وفي عام 2003 اوجد الاحتلال الأمريكي للعراق، الذي كان كابح لتطلعات إيران بيئة مواتية لتمدد النفوذ الإيراني نحو كل من العراق و سوريا وتكريسه في لبنان، وتصاعده في البحرين، والعبور الى اليمن. ومحاولة خلق الاضطرابات في المملكة العربية السعودية. وعلى أية حال ان تهديدات السياسة الإيرانية اعطت المبرر للقوى الدولية وبشكل خاص الولايات المتحدة الأمريكية لوضع ترتيبات امنية اقليمية ربما تمهد لنظام اقليمي جديد طُرح كفكره خلال مؤتمر وارسو 2019 للأمن في الشرق الأوسط، تكون اسرائيل هي المحور فيه. وهو ما يبعث على التساؤل عن دور ايران في هذا النظام من جانب، ومدى فاعلية الدول العربية فيه من جانب آخر.

### Abstract:

Iran's regional policy towards the Arab Gulf after 1979 has been a continuation of its policy before that date, of which hegemony remained a prominent feature at the regional level. The conditions of the US occupation of Iraq, which was a brake on this Iranian endeavor, created an environment favorable to Iran to increase its influence in Iraq, Syria and Lebanon and spread this influence to include new areas such as Bahrain and Yemen. Anyhow, the threats of the Iranian policy have made the relation with international powers, particularly the United States, a pretext for regional security arrangements that may pave the way for a new regional order that has emerged at the Warsaw Conference on Security in the Middle East, of which Israel is the focal point.

## المقدمة :

أتاح احتلال الولايات المتحدة الأمريكية، العراق عام 2003 فرصة قوية أمام إيران ، للمضي في سياسة الهيمنة على منطقة الخليج العربي. وقد تمثلت مقدمات هذا المسار بانتشار النفوذ الإيراني في العراق واليمن، إضافة الى نفوذها السابق في لبنان وسوريا. يقوم بحثنا هذا في تحليل السياسة الإقليمية الإيرانية على ثلاث مرتكزات ، فكري يجمع بين العامل الديني، والقانوني ، ثم تاريخي يلاحظ مدى تأثير الإرث الإمبراطوري على مدركات صانعي القرار السياسي، اما المرتكز الثالث فينصرف الى التحولات الراهنة في هيكل النظام الدولي ومحاولة ايران الى الاستفادة من ديناميكيات التعامل مع خصائص هذه المرحلة . إن أهمية دراسة هذا الموضوع تنبع من واقع ملموس هو إن السياسة الاقليمية الإيرانية غدت في توجهاتها نحو المنطقة، مصدراً لاضطرابات واسعة، تهدد بسلب ارادة دولها حيث إن تغيير النظام الإيراني عام 1979 لم يُنتج أي أثر في تغيير سياستها الخارجية عما كانت عليه قبل هذا التاريخ، بل زادها تعقيداً، فالسائد لدى القادة الإيرانيين يُفصح عن الاعتقاد بأن ايران يجب ان تكون الدولة التي لا غنى لدول المنطقة عنها. وبالتالي فان الآثار التي انتجتها هذه السياسة ، تُعد **المشكلة** التي يتناولها البحث.

وحيث إن الصراع هو سمة تفاعلات المنطقة منذ عقد الثمانينات من القرن العشرين وحتى وقتنا الراهن فسوف نعتمد في تحليل السياسة الإيرانية **المنهج** الواقعي ( منهج سياسات القوة) مقرونا بالمنهج التاريخي. ولا اعتبارات تتعلق بطبيعة انظمة دول الخليج العربي القبليّة، مقارنة بالنظام السياسي في إيران، الذي يعكس شكلاً، قدرأً من الممارسة الديمقراطية. وللتباين في الخصائص الاجتماعية والثقافية بين عرب الخليج، والشعوب الإيرانية، من حيث تأثرها بنمط الحياة الغربي . ولأهمية ايران في الاستراتيجية الأمريكية الكبرى Strategy Great. وفي سياق التنافس مع القوى الدولية الأخرى. فأن استنتاجات البحث سوف تبنى على افتراض: إن الولايات المتحدة الامريكية، ليس بوسعها أن تهدر دور إيران في المنطقة لوزنها الإقليمي، وهي قد تُرجح لهذه الأخيرة، دوراً في تفاعلات المنطقة على حساب دول الخليج العربي.

وانسجاماً مع عنوان البحث فقد قام تركيب بنيته على مرتكزات : قانوني ، تناول استقراء السياسة الخارجية الإيرانية من خلال تحليل مضمون المواد الدستورية ذات العلاقة بالسياسة الخارجية . ثم مرتكز تاريخي: انصرف الى تلمس اثر الارث الامبراطوري على ادراك صانعي قرار السياسي الخارجي . ثم مرتكز: هيكل النظام الدولي ومحاولات ايران الإفادة من خصائص ما يمكن أن نطلق عليه (المرحلة الانتقالية) في هيكل النظام من التفرد الأمريكي الى تعدد الأقطاب Multipolar . اما المرتكز الرابع: فقد بحث في المتغيرات الاقليمية التي نشطت سياسة الهيمنة الإيرانية، والاساليب التي اعتمدها ايران لتنفيذ تلك السياسة. وخلص البحث الى بعض الاستنتاجات التي تضمن توصيفا لشبكة العلاقات الإيرانية مع القوى الدولية . وخاتمة تتضمن بيان مدى امكانية نجاح إيران في المضي قدماً في مثل هذه السياسة .

المُرتكز الأول: تحليل مضمون النصوص الدستورية .  
لما كانت دساتير دول العالم ، تشير الى المبادئ التي تحكم سياستها الخارجية وعلاقتها الدولية ، حيث تظهر هذه المبادئ في واحدة من صورتين، أما في مضامين الدستور، أو في نصوص مُباشرة ، كالنص على مراعاة الدولة لقواعد القانون الدولي، والتزامها بالمعاهدات والمواثيق الدولية التي أبرمتها ، ومراعاة مبادئ، ومقاصد التنظيم الدولي، مثل منظمة الأمم المتحدة، أو المنظمات الإقليمية والمنظمات الدولية المتخصصة. وبناء على ذلك يصير من المُفيد النظر في دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية لمعرفة المبادئ المرشدة لسياسة إيران الخارجية، لاسيما وأنه مرجعاً لرسم السياسة الداخلية والخارجية معاً .  
الدستور الإيراني كغيره من الدساتير استندت صياغته إلى فلسفة السلطة المؤسسة للنظام بعد الثورة (1)، وحيث إن القوى الدينية هي من امسك بالسلطة، فقد عكست مدركاتها على صياغة الدستور. ولذلك ورد النص في المقدمة ، **إن الدستور يستند إلى القواعد والمعايير الإسلامية التي تجسد أهداف الأمة الإسلامية وأمالها** .. وأن الشعب الإيراني الذي نفّض نفسه من الشوائب الفكرية الأجنبية ، قد عاد إلى الأصول الفكرية والى النظرية الإسلامية الأصيلة للعالم . وفي ضوء هذا النص فإن الدستور يستند إلى التراث الإسلامي فقهاً ، وأحكاماً شرعية ، لقد تناول الدستور الإيراني السياسة الخارجية في الفصل العاشر، في أربعة مواد (152 – 155). وقبل الوقوف على نصوص ومضامين هذه المواد، يجدر بنا عرض وتحليل بعضاً مما ورد في ديباجته ، ذلك إن مقدمات الدساتير تعد جزءاً أساسياً فيها (2). ولأن مقدمة الدستور ليست ذات احكام توجيهية (غير ملزمة ) بل انها تشير الى النظام العام، فهي إذاً ذات قيمة قانونية، وإن مضامينها مرشدة لسياسة الدولة . بهذا الخصوص نلاحظ إن المقدمة اوردت تحت عنوان " **اسلوب الحكم في الإسلام**" ما نصه " إن الدستور يُعدُّ الظروف لإستمرارية هذه الثورة داخل البلاد وخارجها " . وبتأمل هذا النص نعتقد أن من المنطقي أن تعمل الدولة الإيرانية وفقاً لدستورها على إعداد أو تهيئة الظروف الداخلية للتغيير نحو الأفضل ، طبقاً للمنهج الإسلامي، فهذا من شأنها، ومن اختصاص سلطانها الداخلي . لكن أن يتجه الدستور إلى إلزام الدولة بتهيئة الظروف خارج البلاد لغرض **(بسط حاكميه القانون الإلهي في العالم )** فإن هذه السياسة بقدر ما تتجاهل حق الدول والشعوب في اختيار نظمها السياسية ، فهي في الوقت عينه تتجاهل، بل تنتهك قواعد القانون الدولي المنظمة للعلاقات الدولية. من جانب آخر يُظهر جلياً دور القوة في سياسة ايران الخارجية، والعزم على التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. ففي نظرة فاحصة لتحري كيفية بسط حاكميه القانون الإلهي في العالم، نجد إن المقدمة وتحت عنوان **الجيش العقائدي** (جيش الدولة وقوات حرس الثورة) تؤكد على إن هذه القوات " لا تلتزم بمسؤولية الحماية ، وحراسة الحدود فحسب، بل تحمّل أيضاً رسالتها الإلهية ، وهي الجهاد في سبيل الله ، والجهاد من أجل بسط حاكميه القانون الإلهي في العالم" وذلك ما يحتمل التفسير بأن ايران لا تتردد عن سياسة التدخل Policy of interference في شؤون الدول الأخرى لبسط حاكميه القانون الإلهي، وانقاذ الشعوب المحرومة والمضطهدة كما نصت ديباجة الدستور.

وبالرجوع إلى المواد الدستورية (152 – 155) آفة الذكر ، لم نجد إلا إشارات عمومية ، أو تأكيداً ضمناً لما ورد في الديباجة، إذ نلاحظ إن المادة (152) تنص على "امتناع إيران

عن التسلط أو الخضوع له" ومن المؤكد إن هذا النص يُعد من المعايير القانونية الضابطة للتعامل الدولي والتي تستأثر باحترام كافة دول العالم، لكن الواقع العملي للسياسة الإيرانية يُظهر خلافه. وتنص المادة المذكورة على حق ايران في الدفاع عن حقوق المسلمين. لكنها لم تحدد سبل الدفاع ، أهي من خلال المنظمات الدولية ام انها مُسندةً أصلاً للجيش العقائدي كما ذهبت الى ذلك ديباجة الدستور؟ فعلى سبيل المثال شهدت الثلاثة سنوات الأخيرة ابادة جماعية للمسلمين الروهينغا في ميانمار لم ينهد إزاء محتهم هذه أي موقف، لا من الدولة الإيرانية، ولا من المؤسسة الدينية فيها، والحال ذاته حيال ما يتعرض له المسلمين في الصين.

أما المادة (153) فقد قيدت الحكومة الإيرانية من عقد أي معاهدة تؤدي إلى السيطرة الأجنبية على ايران. وهو أمر طبيعي ويتعلق بسيادة الدولة على اقليمها ومواردها. فيما نصت المادة (154) على بعض المثل التي تهتم بها ايران وتقدها مثل: سعادة الإنسان والاستقلال والحرية ، وإقامة حكومة الحق والعدل بوصفها حقاً لجميع الناس في إرجاء العالم كافة. ولتحقيق هذه القيم تذهب المادة الى: " وعليه فان جمهورية إيران الإسلامية تقوم بدعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في أية نقطة من العالم ". والواقع إن هذا النص يضعنا في مواجهة سؤال لا مفر منه هو: كيف تتم إقامة حكومة الحق والعدل لجميع الناس في إرجاء المعمورة، وما هو معيار الحق ، ثم ما هي أساليب إيران في تحقيق هذه الدولة، وكيف تقوم بدعم المستضعفين في أي مكان في العالم ؟ اما المادة (155) فقد تناولت موضوع اللجوء السياسي فقد اجاز الدستور للحكومة منح حق اللجوء السياسي لمن يطلبه باستثناء الذين يُعتبرون وفقاً لقوانين إيران مجرمين وخونة.

إن ما تضمنته ديباجة الدستور، ومواده الأربعة أنفة الذكر، حددت الإطار العام لسياسة إيران الخارجية وهي في الواقع تعكس سياسة توسعية، جعلت من الاسلام غطاء ديني لها بمعنى آخر إن المنطق الإيديولوجي يستبطن سياسة هيمنة على المنطقة، تستهدف تحقيق مصالح قومية. وهو ما شرحتة محمد جواد لاريجاني\* في "مقولات في الاستراتيجية الوطنية" التي حدد بموجبها مفهوم الاستقلال السياسي ومدى انعكاس مضمون هذا المفهوم على السياسة الإقليمية للدولة . فهو يقرر إن : " الاستقلال السياسي يعني أن تكون الدولة قطباً، وليس فلماً في قطب . ويضيف: إن الأقطاب تعترف باستقلال بعضها عن بعض ، وتعتمد بالنسبة لسائر الدول، انها يجب أن تكون فلماً في واحدة من هذه الاقطاب" (3) . وحيث ليس بوسع ايران ان تكون قطبا عالميا ، فبالإمكان أن تكون قطبا اقليمياً ، ولكي تكون كذلك " ينبغي ان تكون في المرتبة الاولى من ناحية الإجراءات خارج حدودها ، أي لديها قابلية القيام بعمل افضل وأكثر تطورا خارج الحدود" (4) . إن ايران حسب لاريجاني هي أم القرى بالنسبة للعالم الإسلامي وإن الحفاظ على ام القرى يوجب على الدول الإسلامية ، والمسلمين كأفراد الدفاع عنها. ولكي يتحقق هذا فقد اعتمدت السياسة الإيرانية وسائل سناتي عليها في موضع لاحق، عند بحث اساليب التعامل الإيراني مع دول المنطقة. وفي السياق ذاته بينت دراسة أكاديمية إيرانية ، إن الحفاظ على وحدة الأراضي، ثم الدفاع عن المسلمين، و محاولة تزعم العالم الإسلامي هي من بين اهداف السياسة الإيرانية (5).

المُرتكز الثاني : تأثير مدركات الماضي على حاضر السياسة الإيرانية

يؤكد كُتّاب وباحثي العلوم السياسية، وبشكل خاص في حقل السياسة الخارجية ، على مجموعة من العوامل، تؤثر في رسم ، أو تخطيط السياسة الخارجية لأي بلد. وهي كما معروف عوامل مادية دائمة ديمومة نسبيه، وأخرى مادية متحركة، أي نسبية الديمومة ، فضلاً عن عوامل أخرى، تاريخية ، أو إيديولوجية. فمثلاً تتأثر السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية بمجموعة العوامل أنفة الذكر، فضلاً عن تأثرها بالعامل الإيديولوجي المتمثل بالحلم الأميركي (نشر قيم الديمقراطية والحرية الأمريكية بل ونمط الحياة الأمريكية) فأمریکا تعدُّ نفسها إيديولوجية للعالم كله " قدرنا باعتبارنا أمة أن لا تكون لنا إيديولوجيات، بل أن نكون نحن إيديولوجية " (6). وتتأثر السياسة التركية بالعوامل الثابتة، كما تتأثر بالإرث التاريخي، كونها وريثة الإمبراطورية العثمانية، وربما يعد ظهور مجموعة تطلق على نفسها العثمانيون الجدد تعبيراً عن التأثير بالماضي الإمبراطوري لتركيا. أما إيران فلا تخرج هي الأخرى، عند تخطيط سياستها الخارجية عن التأثير بمثل هذه العوامل ومنها العامل التاريخي ( الإرث الإمبراطوري) فايران هي وريثة الإمبراطورية الساسانية التي كان لها دوراً فاعلاً في التاريخ القديم . هذا الواقع ما زال مخزون في ذاكرة و إدراك المسؤولين السياسيين، وغالباً ما كان اساساً للتنشئة الاجتماعية، وغالباً ما يُمجد تاريخ الدولة في سياق الحديث عن السياسة الإيرانية الراهنة كما سنرى. وعلى الرغم من أن دراسة السياسة الخارجية الإيرانية تتطلب المرور على العوامل المادية ، كالعامل الجغرافي والعامل البشري وكذا العامل الاقتصادي ، لكن لما كانت معلومة وقد تناولتها الكثير من الدراسات، فلا طائل إذاً من التكرار. لذا سوف نقصّر التحليل على أثر الإرث التاريخي، على مدركات صانعي السياسة الخارجية الإيرانية . لما له من إسقاطات على الحاضر.

يرى أغلب من عني بدراسة العلاقات التاريخية بين العرب والإيرانيين، وكذلك الباحثين في السياسة الخارجية الإيرانية المعاصرة، إن ثمة ضرورة بالعودة إلى ماضي الدولة الإيرانية، وماضي علاقاتها الخارجية "بهدف البحث عن الحاضر في الماضي" (7) . وذلك بما للماضي من إسقاطات على مدركات من يخطط السياسة الإيرانية في عصرنا الراهن . وحيث أن هذا المنهج، ينطوي على قدر معين من الأهمية فان تسليط الضوء على مثل مدركات الماضي في الحاضر ولو على عجاله، لا يخلو من فائدة، فلنتابع أبرز مفاصل تاريخ الدولة الإيرانية.

ثمة مفاصل أو منعطفات مهمة في تاريخ بلاد فارس، قد تشكل دلالات في تحليل سياسة إيران الراهنة. بهذا الشأن يُعد **الفتح الإسلامي** تغييراً اساسي في تاريخ هذه البلاد، فقد اخفى انتشار الإسلام الإمبراطورية الساسانية عن الوجود بعد حقب طويلة من الوجود، ومن قوة الفاعلية. وانهي الديانة المجوسية، وانحسرت الزرادشتية، فكيف فُسر هذا الحدث التاريخي، من وجهة النظر الإيرانية المعاصرة ؟

لقد تبنت إحدى وجهات النظر القول: " إن علل انتصار المسلمين هي عدم مواجهتهم بمقاومة جدية من قبل الفرس ... وإن هزيمة الحكومة الساسانية يرجع إلى سأم الأمة من نظام الحكم وآدابه ومراسيمه الظالمة والقاسية، وإن المساواة الإسلامية كانت هي الدافع الوحيد لانضمام الإيرانيين إلى هذا الدين" (8). والواقع إن هذه النظرة تنطوي في جانب منها على قدرٍ من الدقة لاسيما ما يتعلق بقيم الإسلام. إلا أنها تغفل النهوض العربي مع الإسلام

الذي كان سبباً في خلاص الفرس من نظامهم بالتوصيف المتقدم . بمعنى آخر تغفل دور العرب المسلمين بوصفهم اصحاب وظيفة حضارية حملوها الى فارس كي تخلص شعبها من الوضع الذي وصفته وجهة النظر هذه.

وتفصح وجهة نظر إيرانية أخرى، تعلق الفرس بماضيهم الإمبراطوري بشكل آخر، ففي الوقت الذي تشيد فيه (بدور المسلمين الفرس) في نشر الإسلام حتى " قبل فتح بلاد فارس ! " فهي تُقَرّر إن حنين الفرس إلى ماضيهم الإمبراطوري قد ظل قائماً. وذلك بسبب ما كُنْ - كما تقول - في سياسة الخلفاء الأمويون من تمييز بين المسلمين عرباً ، وغير عرب، على صعد الإدارة والجند والقضاء والجباية وجميع المصالح العامة - وتضيف القول - بل وصل الأمر إلى أخذ الجزية من المسلمين غير العرب. وعلى هذا الأساس يتساءل صاحب هذه الرؤية قائلاً " أليس لنا أن نفترض إنهم - أي الفرس - كانوا يتحرقون غضباً بذكريات عزتهم ويتشوقون الى عنفوان أيامهم في إمبراطوريتهم، ويحلمون بيوم تقوم فيه دولتهم ثانية التي تخلصهم من هؤلاء المحتلين وتدمرهم وتطيح بهم، وحتى بدينهم وما يدعون وينادون به من تعاليمهم" (9). لكن إذا كانت هذه الرؤى لا تعدو أن تكون إلا جزء من تاريخ مضى ، فان دراسة إيرانية ثالثة تعكس رؤية مختلفة ربما هي الأقرب إلى الواقع. إذ تذكر، إن سقوط الدولة الساسانية وانتشار الإسلام ظل الى ما قبل الثورة الإيرانية عام 1979، يُقَرّر على نحو آخر هو أن " الملوكية الساسانية انقرضت على أيدي جماعة من أعراب الصحارى . وقد تحول النظام والعمران والرفاه الاجتماعي الى الفوضى والخراب وسلب الراحة واستبدل عرش الملك بالمنبر، واستبدلت أراضي فريديون، وكبخسرو، وزردشت، واسفنديار، واردشير، وشابور، وبرويز، بمساكن الثعالب والنسور. وقد حكم ملاعبوا الغربان والأشجار ورعاة الإبل وأكلة اليرابيع على مواطنينا من أبناء كاوه ورستم وكودرز" (10). ولعل هذه القراء ابقت النظرة للعرب على أنهم ليسوا

حملة رسالة سماوية انسانية ، بل انهم سكنة صحارى ليس لهم من الحضارة نصيب. وفي مفصل آخر، يُعد قيام الدولة الصفوية 1501 - 1722 ميلادية، بدايةً لظهور الدولة الإيرانية الحديثة. ولقد عبّر هذا المنعطف عن استمرارية توسعية لما قامت به السلالات التي حكمت فارس، منذ عصور ما قبل الميلاد. وبالتالي فقد استحوذت فكرة التوسع الجغرافي على سياسات كل القوى التي تعاقبت على حكم إيران منذ ظهور أول دولة وحتى الآن (11).

ويبدو إن الحنين إلى الماضي الإمبراطوري الإيراني هو شعورٌ كامن في الوعي الجمعي الإيراني. كرّسته مراحل من التنشئة الاجتماعية والسياسية التي خضعت لها الأجيال، وذلك من خلال المؤسسات التعليمية، أو حتى الدينية. فعلى الصعيد التعليمي والأدبي تفيدنا الدراسة السابقة بان المرحلة التي سبقت الثورة الإيرانية عام 1979 كانت قد ارتكزت في التنشئة الاجتماعية على اساس ترجيح القومية العنصرية على الدين الإسلامي ، وتُركّز على تعظيم إيران القديمة، وتمجيد الأفكار والأهداف المسيطرة في تلك الفترة . وتصف الفتح الإسلامي على انه عمل وحشي همجي، من قوم لا حضارة لهم، هجموا على مدينة مشرقية ، فكانوا السبب في انحطاط إيران القديمة وتخلفها إلى العصر الحاضر (12).

هذه المفاهيم ظلت تؤثر في التنشئة الاجتماعية الإيرانية. ويبدو أن تأثيرها لم يخفت حتى وقتنا الراهن، فوسائل التواصل الاجتماعي تعكس لنا في المرحلة الراهنة، إن ثقافة الكثير

من الأوساط الإيرانية تتسم بالكراهية للعرب. من جانب آخر إن متابعة الكثير من التصريحات تكشف لنا إن الإحساس بعظمة الماضي الإمبراطوري الإيراني مستقراً في إدراك القادة الإيرانيين ، ويشكل مهمازاً لافق مستقبلي. فعلى الصعيد السياسي لم يتردد المسؤولين الإيرانيين ( الدينين منهم والرسميين) منذ الثورة عام 1979 عن ادعاءات بأن إن الجانب الغربي من الخليج العربي إنما هو جزءاً من بلاد فارس، كان آخرها تصريحات الرئيس روحاني في 11 شباط 2019 التي قال فيها "إن جميع بلدان الخليج العربي وأجزاء من العراق هي جزءاً من إيران الكبرى" \* ثم عاد ليعلن في 29 مايس 2019 جهاراً بأن إيران تقتخر بنفوذها في العراق وسوريا ولبنان. مُضيفاً القول: إن عمق إيران يمتد غرباً إلى شبه القارة الهندية فيما يمتد إلى البحر الأبيض المتوسط شرقاً.\*\*

في القرن العشرين، وعلى الرغم من انتهاجها سياسة الحياد خلال الحربين العالميتين إلا أن إيران تعرضت للاحتلال من قبل القوى الدولية المُتنافسة للحصول على امتيازات النفط (13) وهي بحكم هذا الثراء تخشى من التدخلات الخارجية ، كما حصل في خمسينات القرن العشرين حين تدخلت وكالة المخابرات الأمريكية CIA واطاحت بحكومة مصدق جراء قيامه بتأميم النفط. فإيران إذاً ترى في توجهات بعض القوى الدولية مصدراً لتهديد أمنها القومي، أو أنها كابحاً لسياسة الهيمنة التي تنتهجها.

وصفوة القول اننا نعدُّ مدركات القادة الإيرانيون عن ماضي الدولة الإمبراطورية من العوامل التي تؤثر في تخطيط سياسة إيران الخارجية . فإيران ليس بوسعها اغفال هذا الماضي، ومن ثم فهي تعدُّ منطقة الخليج العربي مجالها الحيوي الذي تتحرك فيه بمرونة، لا يُحدها قيد اقليمي.

المرتکز الثالث : التحول في هيكل النظام الدولي:

أفضى تفكك الاتحاد السوفيتي في العقد الأخير من القرن العشرين إلى تفويض هيكل النظام الدولي ثنائي القطبية، وأبقى على الولايات المتحدة الأمريكية متفردة *American unique* في قمة هرم تراتيبية *Hierarchy* مستويات القوة بكلا مُركزيّها العسكري والاقتصادي. وقد عازمت الولايات المتحدة الأمريكية على إرساء قواعد النظام الدولي الجديد على مبادئ، الليبرالية، والرأسمالية والديمقراطية. وهي بذلك تهدف إلى الهيمنة العالمية، أو أمركة العالم. غير إن المسعى الأمريكي هذا واجه وما زال مناهضة قوى دولية مثل الصين وروسيا الاتحادية والاتحاد الأوروبي، والهند واليابان، حيث لكل من هذه الدول رؤية خاصة حيال قضايا باتت تسترعي اهتمام الأسرة الدولية مثل قضايا التغيرات البيئية ، وأمن الطاقة، والارهاب، والدول الهشة، والصراعات الإقليمية. وإن هذه القوى متفقة ضمناً على بناء نظام دولي تعددي الأقطاب *Multipolar*، فالصين مثلاً أعلنت أنها تعارض بحزم سياسة الهيمنة، وسياسة القوة والعدوان والتوسع، وتعارض أي دولة ، تحاول فرض نظامها السياسي والايديولوجي على دول أخرى. مؤكدةً في الوقت ذاته أنها لن تسعى أبداً للسيطرة على العالم وتعتبرُ هذا تعهداً مهيباً يلزم الشعب الصيني إمام العالم (14). وهي على صعيد التعاون الاقتصادي العالمي اقدمت عام 2013 على انشاء منتدى الحزام والطريق. ومذ أن اقترحت هذه المبادرة، فقد وقعت معها 126 دولة و29 منظمة دولية وثنائق تعاون في إطار يسهم " في تنمية مفتوحة ونظيفة وصديقة للبيئة." ولقد وصفت الولايات المتحدة الأمريكية هذه المبادرة على إنها إيقاع الدول النامية في ديون من خلال عروض تمويل رخيصة لا يمكن

تحملها (15). ولا شك أن الموقف الأمريكي هذا ينبع في الواقع مما يشكله النمو الاقتصادي الصيني من تحدٍ للتجارة العالمية الأمريكية.

أما روسيا الاتحادية فهي تتوق لاستئناف الدور الذي كان يقوم به الاتحاد السوفيتي السابق. وتبعاً لذلك، كان حضورها في بعض القضايا الدولية والاقليمية يعكس الندية للولايات المتحدة الأمريكية. وفي المسار ذاته اتجهت دول الاتحاد الأوروبي، وبشكل خاص ألمانيا وفرنسا في مسعى يهدف للتحرر من الضغوط الأمريكية\* .

في مثل هذا المناخ السياسي الدولي تسعى إيران الى الافادة من التباينات بين الولايات المتحدة الأمريكية والقوى أنفة الذكر. بهدف تعزيز ( قدراتها الذاتية ) بما يقود الى تقوية دورها الاقليمي في المنطقة، أي إنها تصبح قطبا تكون الدول العربية افلاكا تدور حوله طبقاً لتنظيرات لاريجاني.

وفي ظل اختلاف الرؤى بين الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الثلاث تخطط إيران لتوظيف اهميتها الجيوبوليتكية، ومواردها الاستراتيجية في علاقاتها مع هذه القوى، بهدف الحصول على المساندة الدولية. وقد مضت في هذا المسار فعلاً. لكن ثمة تساؤلات ذات دلالة تبنى عليها استنتاجات البحث هي : هل تتمكن إيران ضمان مساندة هذه القوى لسياستها الراهنة. وإذا كانت الاجابة بنعم ، فالى أي مدى ستمضي هذه القوى قُدماً في موقفها من أزمة العلاقات الأمريكية الإيرانية. بصياغةٍ أخرى هل ستطغى علاقات كل من الصين وروسيا الاتحادية وكذا الاتحاد الاوروبي مع إيران على علاقاتها الثنائية بالولايات المتحدة الأمريكية، أم أن إيران ورقة مساومة بين هذه القوى تدور حول قضايا أخرى ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات بيقين، يقتضي الأمر تسليط الضوء على ازمة العلاقات الأمريكية الإيرانية، وهنا نلاحظ إن جوهر الأزمة يكمن في أن قرار مجلس الأمن 2231 في 20 تموز 2015 المتضمن خطة العمل الشاملة المشتركة للتعامل مع البرنامج النووي، أعطى لأعضاء مجلس الأمن ادوار متكافئة في التعامل مع إيران. وهو ما اعتبرته ادارة "ترامب" خطأً فادح ارتكبه الرئيس " اوباما" ووزير خارجيته "جون كيري". وما حقيقة الانسحاب الأمريكي من الاتفاق إلا لفرض ارادتها ، ولحرمان إيران من اللعب بين اظلع مثلث الصين وروسيا والاتحاد الاوروبي، التي بدورها تبنت موقفاً واحداً من الانسحاب الأمريكي . فقد أكدت الصين في 28 شباط 2018 على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية " هوا تشون بينغ " على ضرورة الالتزام بالاتفاق والحفاظ عليه، وقالت إن بلادها تدعو الأطراف المعنية كلها إلى تعزيز الحوار والتنسيق بشأن الوضع الذي يمر به الاتفاق النووي الإيراني وإلى الحفاظ عليه سليماً والتعامل معه بجدية، مشددة على ان بلادها ستستمر في حماية الاتفاق وتنفيذه على نحو موضوعي ونزيه (16) . وبشأن العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الولايات المتحدة على إيران أعلنت الخارجية الصينية في بيان لها بتاريخ 28 آب 2018 إن "رؤايتها التجارية مع إيران منفتحة وشفافة ومشروعة، مشيرةً إلى أن بكين تعارض دوماً العقوبات أحادية الجانب وسياسة الذراع الطويلة" (17). وأعلنت بوضوح إنها لا تنقيد بالعقوبات الأمريكية، وإنما ستستمر بشراء النفط الإيراني.

ومن جانبٍ آخر، ورداً على قرار الرئيس الأمريكي " ترامب " بإدراج الحرس الثوري الإيراني على لائحة الإرهاب، فقد وصفت الصين القرار بان يُعبر عن سياسة ابتزاز. جاء ذلك على لسان المتحدث باسم الخارجية الصينية " لو كانغ " في 19 نيسان 2019 بقوله :

" نتمنى أن تبذل الدول المعنية، وخاصة القوى العظمى خارج منطقة الشرق الأوسط المزيد من الجهود التي تؤدي إلى السلام والاستقرار بدلا من اتخاذ تدابير تؤدي إلى المزيد من التوترات فيه، وأضاف: إن الصين تؤيد احترام جميع الدول للخطوط الأساسية للعلاقات الدولية على أساس اقتراحات ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة بدلا من السعي لسياسة القوة والابتزاز<sup>(18)</sup>

أما روسيا فقد انتقدت القرار الأمريكي بالانسحاب من خطة العمل الشاملة المشتركة. إذ أصدرت الخارجية الروسية بيانا جاء فيه " إن موسكو تدعو جميع القوى العقلانية إلى ضمان استمرار خطة العمل الشاملة المشتركة " <sup>(19)</sup>. وأضاف البيان إن الولايات المتحدة الأمريكية تريد من خلال الانسحاب تحقيق طموحات جيوسياسية. وفيما يتعلق بفرض العقوبات الاقتصادية على إيران ، وصف البيان التصرف الأمريكي بالقول : " في واشنطن لم يعودوا يخفون حقيقة أنهم يريدون إخضاع العالم بأسره لإرادتهم. فتحت التهديد بالعقوبات الأمريكية تحاول واشنطن إجبار جميع الدول لوقف شراء النفط الإيراني اعتبارا من أيار مايو 2018". كما انتقدت روسيا القرار الأمريكي بإدراج الحرس الثوري الإيراني على قائمة المنظمات الإرهابية ففي مؤتمر صحفي أعلنت المتحدث باسم وزارة الخارجية الروسية " ماريا زاخاروفا" قائلة : " إن قرار الإدارة الأمريكية إدراج الحرس الثوري الإيراني على قائمة التنظيمات الإرهابية، يأتي ضمن نهج الولايات المتحدة في شيطنة إيران، عن طريق ممارسة أقصى أنواع الضغط عليها " <sup>(20)</sup>. وفي جانب آخر يلاحظ إن ليس لروسيا موقفا معلنا حيال إيران بشأن الإرهاب خاصة فيما يتعلق بدعم إيران لبعض الحركات في هذا المكان أو ذلك في المنطقة.

وتمثلت الدول الأوروبية مع كل من الصين وروسيا حيث تمسكت بالاتفاق. جاء ذلك في بيان صدر عن " فيديريكاموغيرني " الممثلة السامية للاتحاد الأوروبي المعنية بالشؤون الخارجية بعد اجتماع لها مع وزراء الخارجية، والمالية لكل من فرنسا وألمانيا وبريطانيا في السادس من آب 2018 أكدت فيه أن خطة العمل المشتركة التي اقراها مجلس الأمن لمنع انتشار الأسلحة النووية، والدبلوماسية متعددة الأطراف ، هي ضمانة لأمن أوروبا والمنطقة والعالم اجمع، وأعربت عن عدم إمكانية الالتزام بالعقوبات الأمريكية على إيران. وأبدت إن الاتحاد الأوروبي بصدد وضع آلية مالية خاصة للتعامل مع إيران Instrument in Support of Trade Exchanges كأداة دعم للمبادلات التجارية التي يرمز لها ( ) INSTEX تقدم من خلالها دعما للتجار الأوروبيين ممن يقومون بمبادلات تجارية مع إيران طبقا للقوانين الأوروبية وقرار مجلس الأمن آنف الذكر<sup>(21)</sup>.

ولم يتبنى الاتحاد الأوروبي موقفاً بشأن إدراج الحرس الثوري الإيراني على قائمة التنظيمات الإرهابية، فقد صرحت "مايا كوسيانيتش" ممثلة الاتحاد قائلة : " إن الأنظمة النافذة أوروبياً تتطلب وجود إجماع من قبل الدول الأعضاء ، مضيئةً، إن هذه المسألة غير مطروحة حالياً" <sup>(22)</sup>. مما يعني أن هناك تباينات في موقف دول الاتحاد من هذه المسألة. لكن من جانب آخر أدانت دول الاتحاد الأوروبي برنامج إيران للصواريخ بعيدة المدى، وأدانت أنشطة إيران العسكرية في المنطقة ، وأوضحت أنها متضامنة وموحده في مطالبة إيران بوضع حد فوري لهذا السلوك غير المقبول<sup>(23)</sup> وإن لهم وبشكل خاص (فرنسا، وألمانيا) مخاوف من النهج الإقليمي الإيراني في المنطقة، وتطويرها برامج صاروخية

بعد هذا العرض السريع لمواقف القوى الدولية أنفة الذكر، من أزمة العلاقات الأمريكية الإيرانية، نحاول استقراء ما إذا كانت هذه القوى ستمضي قدما في مواقفها حيال إيران، أم أنها سوف تتراجع جراء الضغوط الأمريكية؟ وسوف ننطلق في هذا الخصوص من اعتبارين:

**الأول،** إن كلا من الصين وروسيا وفرنسا في إطار الاتحاد الأوروبي، بوصفها دول مالكة للأسلحة النووية\* تتفق مع الولايات المتحدة الأمريكية على منع إيران من التوجه نحو امتلاك هذا السلاح. والدول الثلاثة ترى إن الاتفاق الذي تم التوصل إليه هو ضمانة أكيدة لضبط إيران، وفق الآلية التي وضعها قرار مجلس الأمن 2231 في 20 تموز 2015

**الثاني،** مدى تأثير العلاقات التجارية بين القوى الدولية الكبرى مع بعضها، ومع إيران على مواقف تلك القوى من إيران في ازمتها الراهنة. بتعبير ادق هل ان حجم التبادلات التجارية بين إيران والقوى الدولية الكبرى (الصين، وروسيا الاتحادية والاتحاد الأوروبي) تغري على مناهضة الموقف الأمريكي من إيران، أم إن المواقف تتبع من اصرار مسبق على الحد من التفرد الأمريكي في التعامل مع ابرز القضايا الدولية واقصد بذلك منع انتشار الاسلحة النووية؟

بشأن الاعتبار الثاني، تُفيد إحصاءات التبادل التجاري بين الأطراف في استشراف المواقف السياسية من إيران، باعتبار إن المواقف السياسية في الغالب تحركها المصالح. وبناءً على ذلك إذا ما نظرنا في العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية و (الصين، وروسيا الاتحادية ودول الاتحاد الأوروبي) نلاحظ ضعف أهمية إيران – فيما عدا واردات النفط مقارنةً بعلاقات هذه الدول مع الولايات المتحدة الأمريكية. إذ يُبين الجدول أدناه حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، ويكشف عن عجز أمريكي، يسجل لصالح الصين\*، وبالتالي من المنطقي ان تفرض حسابات العائد التجاري على الصين عدم ترجيح العلاقة مع إيران على حساب علاقاتها التجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية. لاسيما وإن مجمل حجم التجارة بين الصين وإيران في لعام 2018 لم يتجاوز 18 مليار دولار.

### الميزان التجاري بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين لعامي

(24) 2018-2017

السنة	الصادرات الى الصين مليار دولار	الواردات من الصين مليار دولار	العجز الأمريكي مليار دولار
2017	*45	+221	176
2018	130	505,5	375

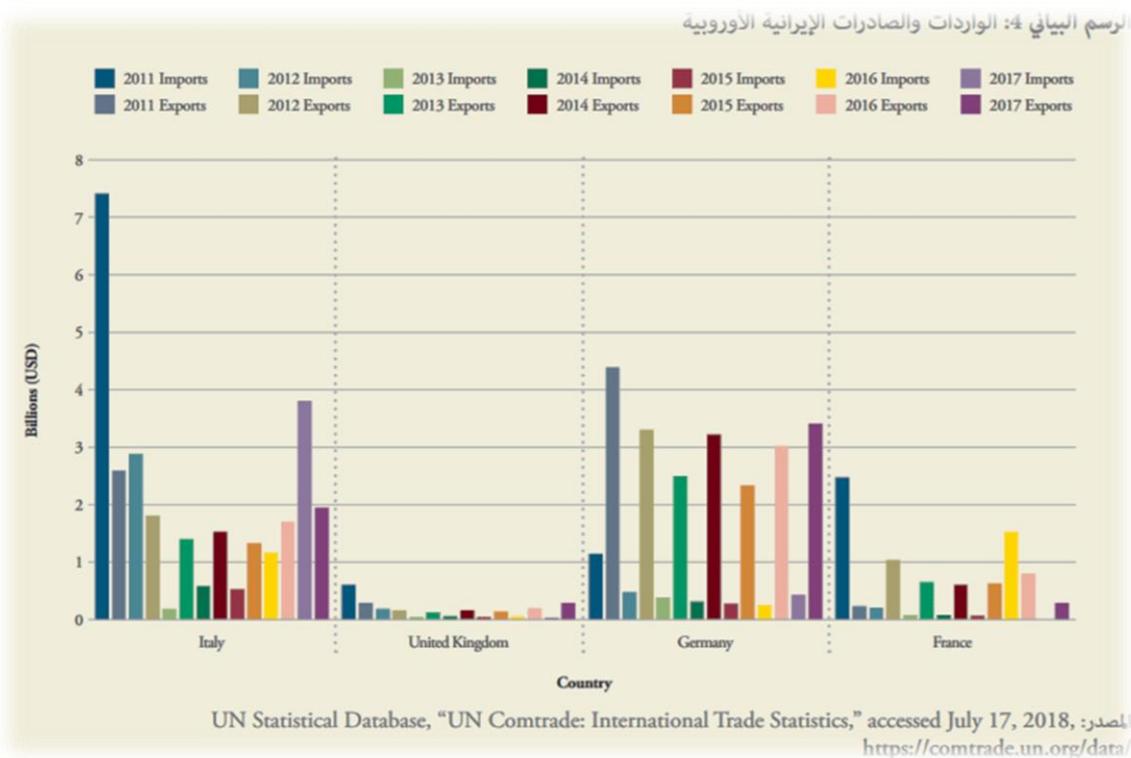
\* طائرات مدنية ومكائن، فول الصويا، سيارات مسافرين، مشبهات توصيل

هواتف خلوية، حواسيب، أجهزة اتصالات، لعب، ومعدات رياضية، ملابس وأثاث

أما حجم التبادل التجاري بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية خلال العام 2018 فقد كانت متقاربة، إذ بلغت صادرات روسيا إلى أمريكا 12,208 مليار دولار، فيما بلغت قيمة صادرات أمريكا إلى روسيا 12,516 مليار دولار. بالمقابل بلغت صادرات روسيا إلى

إيران في نفس العام 1,280 مليار فيما بلغت صادرات إيران إلى روسيا 533 مليون وهو ما يعني عجز إيران لصالح روسيا . ومع ذلك نستطيع القول أن العلاقات التجارية بين روسيا وإيران، أي تكن عائداتها ليست هي وحدها ما يقرر العلاقات بين الطرفين. ان روسيا في المآل الأخير سوف لن تضع نفسها في موضع المفاضلة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية بناء على المعيار التجاري فقط.

ومنذ سريان الاتفاق الدولي بشأن البرنامج النووي الإيراني، حرص الاتحاد الأوروبي على اعتماد سياسة التعاون والتقارب مع إيران وبأن يكون الشريك التجاري الأول معها ، وفعلا فقد نشطت الشركات الأوروبية في هذا المسار ، بعد الاتفاق على خطة العمل المشتركة التي اقراها مجلس الأمن غير أنها تراجعت بسبب الضغوط الامريكية بعد انسحاب الأخيرة من الاتفاق، إذ أجبرت الشركات والمؤسسات الأوروبية متعددة الجنسية على وقف نشاطها مع إيران. وقد اخفق الاتحاد الأوروبي بوضع آلية مالية تعين على التدفقات المالية حتى بالنسبة الى الشركات الصغيرة في تجارتها مع إيران، ولعل ذلك يرتبط بقدرة الولايات المتحدة الأمريكية من السيطرة على المؤسسات المالية الدولية. ويوضح الشكل ادناه مستويات التبادل التجاري بين إيران وابرز دول الاتحاد الأوروبي (25).



وبلغة الأرقام أيضاً، يُظهر الجدول ادناه (26) إن الشركاء الثلاثة الأول في مجمل تجارة الاتحاد الأوروبي مع العالم لعام 2018 هم كلا من الصين والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية، علماً بان إيران تحتل المرتبة السادسة والثلاثين في تدرج الدول الأخرى المتعاملة تجارياً مع الاتحاد الأوروبي.

### حجم تجارة الاتحاد الأوروبي مع العالم سنة 2018 الشركاء الثلاثة الاوائل وايران

القيمة الكلية للصادرات / مليار يورو			القيمة الكلية للاستيرادات / مليار يورو		
19,956,017			1,989,627		
المرتبة	الشريك	الحصة من الصادرات	المرتبة	الشريك	الحصة من الاستيرادات
الاولى	الولايات المتحدة الأمريكية	510,406	الاولى	الصين	394,847
الثانية	الصين	846,209	الثانية	الولايات المتحدة الأمريكية	626,267
الرابعة	روسيا الاتحادية	196,85	الثالثة	روسيا الاتحادية	266,168
السادسة والثلاثون	إيران	914,8	السابعة والثلاثون	إيران	9,453

وعلى الرغم من أن إيران لا تُشكل أهمية كبيرة في التجارة العالمية، إلا إن القوى الثلاثة تمسكت باتفاق 2015 وخطة العمل المشتركة، لكن يُلاحظ من جانب إن أبرز دول الاتحاد الأوروبي - رغم ما تفرضه عضوية الناتو من التزامات - رفضت حتى الآن الانخراط في تحالف دولي تحت القيادة الأمريكية لحماية الملاحة في مضيق هرمز. أما الصين فقد أعلنت أكثر من مرة بأنها سوف لن تمتنع عن شراء النفط الإيراني، ومن جانبها فإن روسيا تهتم بمصالحها الاستراتيجية والأمنية في جوارها القريب، ومنه إيران<sup>(27)</sup>.

### سياسة الهيمنة الإيرانية : اثر المتغيرات الإقليمية وأدوات التعامل

1 - المتغيرات الإقليمية: نقصد بالمتغيرات الإقليمية، الأحداث والتطورات التي شهدتها المنطقة منذ عام 2003 ومن أبرزها الآتي :

#### أ- احتلال العراق

كان التصدي لتوجهات النظام الإيراني الجديد الهادفة الى نشر النفوذ في المنطقة، من أبرز اولويات السياسة الإقليمية العراقية. وبالفعل تمكن العراق من إحباط تلك التوجهات (إجهاض مبدأ تصدير الثورة) التي دشنتها إيران بعدوانها على العراق 1980. بيد أن انتهاء الحرب العراقية الإيرانية لم يفض إلى استقرار المنطقة. ففي الوقت الذي وصف فيه العراق مواجهته العسكرية لإيران بأنها حماية لدول الخليج العربي من أن تقع فريسة للأطماع الإيرانية، فإنه اعتبر أن اندفاع الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة نحو زيادة إنتاج النفط إنما يجري في سياق سياسة نفطية تحرمه من عائدات مالية تمكنه من تجاوز آثار الحرب، هذا فضلاً عن امتناع الكويت عن تعويض العراق (10) مليار دولار بسبب إنتاجها النفط تجاوزاً من حقل الرميلة الشمالية خلال فترة الحرب. هذه التطورات أفضت بالنتيجة، إلى رد فعل عراقي لم يخضع لا لحسابات قومية ولا لحسابات استراتيجية، فقد اضاف اجتياح العراق للكويت ضعفاً على الضعف المزمّن للنظام العربي.

بيد أن التطورات الأكثر دراماتيكية هي تلك التي شهدتها العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أي الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003، فقد أحدث الاحتلال خلخلة كبيرة في الوضع الأمني الإقليمي، أتاح للسياسة الإيرانية فرصة لم تكن موجودة من قبل، فهي كما وصفها احد المسؤولين الإيرانيين بقوله: " إن ما قدمته واشنطن لإيران باحتلالها العراق هو تحويل إيران إلى قوة إقليمية، فلم يكن العراق ليتحول بعد الاحتلال إلى وضع أفضل من الوضع الذي تحول إليه بالنسبة إلينا " (28). لقد أفضى الاحتلال الى نشر النفوذ الإيراني في العراق.

ب - طبيعة علاقات دول الخليج العربي في إطار مجلس التعاون: كان اندلاع الحرب العراقية الإيرانية عام 1980 احد أهم أسباب نشوء مجلس التعاون لدول الخليج العربي عام 1981 \* وكان يفترض أن يكون المجلس، ليس فقط اطار قانوني وسياسي، لحسم الخلافات القديمة بين الدول المؤسسة، بل وتنسيق سياساتها المستقبلية، أي وضع السياسة العليا والخطوط الأساسية التي تدير عليها الدول الأعضاء، وبشكل خاص قضية الأمن الإقليمي. وإذا كانت بعض المشكلات البينية قد وجدت طريقها إلى الحل، لكن ما يُلاحظ هو عجز المجلس عن الوصول إلى موقف موحد إزاء القضايا العربية، أو حتى الخليجية منها. مما يعني ان تنسيق السياسات ظلت غاية بعيدة المنال، ولقد كان هذا الواقع مَدْخلاً نفذت من خلاله إيران للضغط على دول الخليج العربي وبشكل خاص المملكة العربية السعودية. فمثلا انفردت سلطنة عمان من بين دول المجلس بعلاقات متميزة مع إيران، قد تنظر إليها السعودية على أنها خروج على التقاليد الخليجية التي تفترض وحدة الموقف فيما يتعلق بالقضايا المشتركة. كذلك اتسمت العلاقات القطرية السعودية بقدر من التعارض حول ثلاث محاور: القضية الفلسطينية\*\*، ثم علاقات قطر بالإخوان المسلمين\*\*\*، وكذلك العلاقات مع إيران\*\*\*\*. مما يعني أن قطر تتأى بنفسها عن التنسيق مع الشريك الأكبر في مجلس التعاون الخليجي، أي المملكة العربية السعودية

ولقد بلغت الأزمة ذروتها عندما قطعت السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع قطر في الخامس من حزيران 2017 تبعتها كلاً من دولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، ومصر. وفي اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون الأول 2017 صرح وزير الخارجية السعودي السابق عادل الجبير: إن قطر تمارس سياسات داعمة للإرهاب، وتساهم في إثارة الفتن وزعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة، مضيفاً القول: ولتصبح شريكا موثوقا فيه، فإنها مدعوة لوقف دعمها للإرهاب، والالتزام بالمبادئ والقوانين الدولية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول. ومن الطبيعي أن نستنتج إن الخلافات بين الأعضاء في مجلس التعاون، يخلق استمرارها بيئة ملائمة تُمكن إيران من التدخل في شؤونها الداخلية كمدخل لسياسة الهيمنة.

ج- الوضع في اليمن:

تُعد منطقة الخليج العربي مجالاً حيويًا للسياسة الإيرانية، ويُزيد الترابط بين مضيقي هرمز و باب المندب مع قناة السويس، من اهتمام إيران في اليمن، لأن نشر نفوذها في هذا القطر يستتبع أن يكون لها شأن في باب المندب، ويُعظّم من أهميتها الاستراتيجية، لاسيما في ظل تنامي القوة لديها. فضلاً عن إن مثل هذا الحضور سيُتيح لإيران الضغط على السعودية من جهتي العراق واليمن في آن واحد. ولذا نجد إن إيران لم تغفل الصراع الذي يدور في اليمن، فهي تساند الحوثيين بهدف إيجاد نظام سياسي يمني موالي لها كنظام العراق، وهي بهذا تضع السعودية بين فكي كماشة.

## 2 - اساليب التعامل:

لا شك إن المتغيرات المُتقدمة، ومنها على وجه التحديد واقعة احتلال العراق للكويت كان لها تأثيرها في اختيار إيران لأساليب تنفيذ سياستها الإقليمية. لقد أثبت التعامل الدولي مع هذه الواقعة عدم إمكانية تغيير خريطة المنطقة بفعل اللاعبين الإقليميين، فلا مصالح القوى الدولية تسمح بذلك، ولا القانون الدولي يجيز. ولا إرادة شعوب المنطقة تقبل. وعلى هذا الأساس أدركت إيران أن ليس بالإمكان التفكير بالتوسع الجغرافي على حساب دول الجوار بالقوة العسكرية، إذ أن الفشل سيكون نصيب أي محاولة للضم، وفرضه كأمر واقع. ولهذا فإن إيران كمبدأ عام تستمر بإنماء قدرات قوتها الذاتية، فهي تمضي قدماً في زيادة قدراتها العسكرية، سواءً أكان ذلك عن طريق التصنيع الداخلي، أو زيادة مشترياتها من الأسلحة، أو حتى سعيها لامتلاك التكنولوجيا النووية وتطويرها مستقبلاً باتجاه يتجاوز الاستخدامات السلمية. وهي بهذا تريد أن تجعل خطابها يصدر عن (إرادة قوة) ترغم الآخرين على الخضوع، وإقرارهم بأن لها السيادة الإقليمية في المنطقة. أما الوسائل المعتمدة فهي:

أ- نشر النفوذ بدلاً عن الاحتلال: إن عدم إمكانية تغيير خريطة المنطقة من خلال الضم يتم التعويض عنه بنشر النفوذ، عبر مؤسسات مالية، وتجارية، وصحية، ومدارس، ومؤسسات دينية إيرانية، زرعت في دول المنطقة منذ حقبة الشاه وتم تنشيط فاعليتها لاحقاً، فضلاً عن الدور الذي تقوم به الجاليات الإيرانية الموجودة بنسب متفاوتة في دول الخليج العربي. وصفوة القول إن انتشار النفوذ الإيراني في المنطقة أوجد لإيران مرتكزات جيوبوليتيكية تمكنها من التأثير في مدى قد يتجاوز المنطقة ذاتها.

ب- الإفادة من الاضطرابات الطائفية داخل بعض دول المنطقة، وربما تغذية المنطق الطائفي كما في اليمن والبحرين، والسعودية وذلك لغرض النفاذ من خلاله إلى داخل هذه الدول. وقد ظهر هذا النشاط ليس فقط على صعيد الخطاب الإعلامي، بل وحتى السياسي حيال كل من البحرين، والسعودية، وظهر بشكل أكثر وضوحاً في اليمن من خلال دعم الحوثيين بالسلاح.

ج- العمل على إيجاد نظم بديلة موالية، كما هو الحال في العراق. ففي المسار السياسي، لم تُعد خافية قوة التأثير الإيراني على الأوضاع الداخلية في العراق، حيث بانّت مظاهر النفوذ الإيراني في صور عديدة، بدءاً من الإشراف على الميليشيات وتوجيهها، والتدخل في تشكيل الحكومة، إلى محاولة جعل العراق خط مواجهة أول في الصراع مع الولايات المتحدة الأمريكية. أما في المسار الاقتصادي، فإن أقل ما يمكن قوله هو أن إيران عملت وما زالت على إعاقة التنمية في العراق- التي كان الفساد المالي والإداري سبباً لها- فهي في الوقت ذاته تهتم في أن يكون العراق المستورد الأول لمختلف منتجاتها. ولعل من مظاهر الفساد الإداري في هذا الجانب غياب تخطيط الاستيراد، فالحدود بين البلدين سائبه، ولم تخضع

عملية الاستيراد من إيران لأي ضوابط تنظيمية، وبات العراق سوقاً تتدفق من خلاله مليارات الدولارات سنوياً إلى إيران.

د - من خلال المفاوضات المعلنة أو الخفية، مع دول الاتحاد الأوروبي عبر المفوضية الأوروبية، أو مع الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إيران في سياق المساومة حول القضايا المطروحة إلى ضمان مصالحها في المنطقة، سواءً الاقتصادية منها أو الأمنية، وهي تتوق إلى الحصول على ضمانات دولية بهذا الخصوص من لدن الولايات المتحدة الأمريكية. فإيران سوف لن تتنازل عن كل شيء، مقابل لا شيء.

**استنتاجات:** الاستنتاجات التي نخلص إليها، تضع كما نعتقد شبكة العلاقات بين اطراف النظام الاقليمي الخليجي، والقوى الدولية التي تتعامل مع هذا النظام بالتصور الآتي:

#### على صعيد العلاقات العربية - الإيرانية

ستظل إيران تتوق للهيمنة الإقليمية على منطقة الخليج العربي، يغريها في هذا ضعف الدول العربية خاصة، بعد احتلال العراق وتدمير قدراته. إضافة إلى ضعف التدابير الذاتية لحماية الأمن، وغياب العمل العربي المشترك عموماً، وبشكل خاص غياب استراتيجية عربية للأمن القومي العربي. وإزاء هذا الواقع لم تجد الدول الخليجية بدءاً من تعزيز التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض الدول الغربية لحماية أمنها من التهديدات الإيرانية وتدخلاتها، لاسيما بعد أن قوّى نفوذها في العراق واليمن. ولقد أوجدت توجهات السياسة الإيرانية هذه مناخ إقليمي حفز على تقارب خليجي إسرائيلي، على حساب علاقات ايجابية كان يجب أن تكون بين إيران ودول الخليج العربي، تقوي اواصرها الرابطة الدينية، فضلاً عما يمليه عامل الجوار الجغرافي. لكن ذلك لم يحصل، فلقد كانت السياسة الإيرانية مُفَرِّدة و مُباعدة لفرص التقارب مع دول الخليج العربي.

#### على صعيد العلاقات الأمريكية - الإيرانية

بصرف النظر عن الخطاب الإعلامي المتشدد، المتبادل بين الولايات المتحدة، وإيران الذي يعكس أزمة العلاقات بين البلدين، فإن إيران تدرك على وجه اليقين خطورة المواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تعي أهمية التفاوض مع هذه الأخيرة لإيجاد نقاط للتلاقي، مُتجنباً بذلك الوصول إلى حافة الهاوية. ومن جانبها فإن الولايات المتحدة الأمريكية، وإدراكاً منها لأهمية إيران الجيوسياسية والاقتصادية، ولدوافع أخرى ترتبط بأمن إسرائيل سوف لن تذهب إلى الحد الأقصى بالضغط على إيران، بما يدفعها نحو علاقة (تحالف استراتيجي) مع روسيا الاتحادية، أو الصين. فمنذ بدايات العقد الأول من القرن الحالي نصح هنري كيسنجر صانعي السياسة الأمريكية بالإبقاء على علاقة جيدة مع إيران مبيناً إنه: " لا توجد أسباب حقيقية لدى أميركا للتشاجر مع إيران" <sup>(29)</sup>، بمعنى آخر إن كل الخلافات بين إيران وأمريكا قابلة للحل. وربما كانت إيران مطلوبة لذاتها بالنسبة للسياسة الأمريكية، فالخطر الإيراني المائل هو مدخل الإملاءات الأمريكية على تلك الدول، وهو ما يدفعها لزياد مشترياتها من السلاح الغربي والاستمرار بطلب الحماية الأمريكية، بل ويُخضعها للابتزاز الأمريكي.

رغم تمسك الاتحاد الأوروبي باتفاق البرنامج النووي الإيراني (خطة العمل المشترك) بموجب قرار مجلس الأمن 2231 في 20 تموز 2015، وعدم الرضا عن الانسحاب الأمريكي منه، ورغم عدم التوافق مع الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء تحالف مشترك لضمان الملاحة في مضيق هرمز، فإنه من السابق لأوانه الحديث عن قطيعة بين طرفي الأطلسي تحول دون الاتفاق على اعتماد سياسة مشتركة حيال إيران، لمقاربات منها: إن كلا من فرنسا والمانيا والمملكة المتحدة اعربت عن قلقها من تحلل إيران مؤخراً عن التزامها بموجب الاتفاق، والمضي بعمليات تخصيب اليورانيوم. من جانب آخر إن لأوروبا مخاوفها من برنامج إيران الخاص بالصواريخ الباليستية، وهي تتوافق بشأنه مع الموقف الأمريكي الذي يطالب إيران بالتوقف عنه. كما إن الدول الأوروبية تراعي في تعاملها مع إيران، علاقاتها مع دول الخليج العربي، وكذلك علاقاتها بإسرائيل. فدول الخليج العربي تتوجس من تهديدات إيران، أما إسرائيل فهي تعتبر إيران مصدر تهديد أمنها القومي، بسبب دعمها لحزب الله في لبنان، وحماس في غزة. وإذا ما استمرت إيران من بالتحلل من التزاماتها بموجب قرار مجلس الأمن أنف الذكر، فإن ضبط موازنة العلاقة قد تكون غير ممكنة. وقد يدفع هذا بالدول الأوروبية الى الانخراط في مقتربات التعامل الأمريكي حيال إيران. وقد تزيد الأضرار التي لحقت بالشركات الأوروبية الكبرى جراء العقوبات الأمريكية من التقارب الأمريكي الأوروبي. فقد كان انسحاب شركة توتال الفرنسية من العقد الذي وقعته بشأن تطوير حقل جنوب بارس الإيراني، باكورة استجابة الشركات الأوروبية للضغط الأمريكية.

### على صعيد العلاقات الأمريكية الصينية

لاحظنا فيما تقدم إن الميزان التجاري بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين يجري في صالح الأخيرة. وهو ما دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى فرض ضرائب جمركية على بعض الواردات الصينية. لكن الصين حفاظاً على تقدمها ونموها الاقتصادي تسعى لوضع حلول لما بات يطلق عليه بالحرب التجارية بينها والولايات المتحدة. وهي في ضوء علاقاتها الاقتصادية الضخمة مع أمريكا، وذات النزر اليسير مع إيران، قد لا تتخذ موقفاً متصلباً على أرض الواقع حيال الأزمة الأمريكية الإيرانية الراهنة، لاسيما وأن الصين تتجنب الانغماس المباشر بمشاكل المنطقة، مفضلةً التعاطي مع تلك المشكلات من خلال منظمة الأمم المتحدة، والمحافل الدولية الأخرى مثل منظمة الطاقة الذرية.

### على صعيد العلاقات الروسية الإيرانية

على الرغم من إن روسيا اسهمت بشكل مباشر في إعادة بناء مفاعل بوشهر، إلا أن متطلبات أمنها القومي تفرض ألا تنهض قوة مهددة على حدودها الجنوبية (إيران)، ولذلك فقد جعلت روسيا المنظمات الدولية (الأمم المتحدة ومنظمة الطاقة الذرية) مرجعية التعامل مع الملف النووي الإيراني. ومن زاوية أخرى يُمكن استبصار تأثير أولويات السياسة الروسية في محيطها الإقليمي على العلاقات الروسية الأمريكية. فموسكو تهتم بضمان سيطرتها في فضاء رابطة الدول المستقلة، وتهتم أيضاً بضمان استقرار حدود هذه الدول، ومنع انتشار السلاح النووي فيها. وهذه الأولويات لا شك تطلب منها الحفاظ على مستوى معين من الحوار الإيجابي مع الغرب، وفي المقام الأول الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(30)</sup>. ومن زاوية أخرى، إن السياسة الأمريكية في منطقة رابطة الدول المستقلة (ضم بعض دولها الى الناتو) ومحاصرة روسيا في شرق أوروبا تؤثر بمقدار معين على رسم سياستها حيال

منطقة الخليج العربي، وبقدر حرصها على علاقات ايجابية مع امريكا فان روسيا في المآل الأخير تحافظ على مصالحها مع إيران بالشكل الذي يفرض عليها اظهار قدر من المساندة لهذه الأخيرة .

### الخاتمة :

إن التغيير هو من سنن التاريخ ، فليس بالإمكان إحياء الامبراطوريات القديمة ، هذا الحلم الذي تشغل به إيران وقد وشحت سياستها ، بوشاح ديني، لجعل حلمها حقيقة على ارض الواقع. وعالم اليوم الذي يقرر تفاعلاته الى حد كبير اللاعبين الكبار تشغلهم فيه قضايا عديدة منها منع انتشار الأسلحة النووية، الذي ظهرت فيه إيران قضية خلافية بين الولايات المتحدة الأمريكية من طرف و( الصين وروسيا الاتحادية ودول الاتحاد الاوروبي) من طرف آخر. وحيث إن القوى الثلاثة أنفة الذكر تعمل على اقامة نظام دولي متعدد الأقطاب في مواجهة التفرد الأمريكي ، فقد كانت معارضتها للموقف الأمريكي من إيران (الانسحاب من الاتفاق وفرض عقوبات اقتصادية مشددة) تعبيراً عن رفضها للتفرد الأمريكي. من جانب آخر إن لكل واحدة من القوى الثلاثة مشاكله مع الولايات المتحدة الأمريكية. فالصين حذرة من تدخلات أمريكية محتملة في تايوان والتبت، وروسيا الاتحادية لا يرضيها تمدد الناتو الى بعض الدول التي ظهرت مستقلة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ، أما دول الاتحاد الأوروبي فهي تعاني من ضغوط السياسة الأمريكية داخل الناتو. هذه المشكلات تجعل من ديناميكيات التعامل مع إيران مدخلا لتفاهات بين القوى الدولية بشأن تلك المشكلات، لاسيما وأن لكل منها مصلحته الخاصة. بيد إن اعتماد سياسة متعاطفة Sympathetic Policy مع إيران من لدن الدول الثلاثة ، لا يمكن له أن تنعكس سلباً على دول الخليج العربي لأن لتلك القوى مصالحها هي الاخرى مع الدول العربية . وبالتالي فإنها ستعتمد سياسة متوازنة مع كل الاطراف بما فيها إيران . هذا دون الحديث عن أثر التحالفات التي ابرمتها دول الخليج العربي مع الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية، التي يفترض أن تحد من توجهات ايران نحو المنطقة. لأن الحلف لا تنحصر اهدافه في حماية الامن وحسب، انما ترتقي الى مستوى رعاية الدول المتحالفة لمصالحها الذاتية المشتركة. ولهذا نجد إن المملكة العربية السعودية مثلا كانت قد وصفت الضربة التي تعرضت لها شركة ارامكو على انها تهديد لمصالح مشتركة لا تخص السعودية فقط بل تخص الاقتصاد العالمي. وحيث إن منطقة الخليج العربي بما فيها إيران هي منطقة نفوذ أمريكي، فسوف لن تهدر الولايات المتحدة الأمريكية علاقاتها التاريخية مع إيران، مع ضمانات حماية لدول منطقة الخليج العربي من أي تهديد خارجي. كما إن توجهات إيران للهيمنة على المنطقة مرهونة بالمفاجآت على الصعيد الداخلي لدول المنطقة بما فيها إيران ذاتها.

### الهوامش :

- (1) ثمة تنوع فكري كان قد سيطر على الحراك السياسي الداخلي الذي شهدته السنتين السابقتين على الإطاحة بنظام الشاه محمد رضا بهلوي عام 1979 فقد اصطف العلمانيون، والشيعيون، والقوميون مع الإسلاميين في مناهضة نظام الشاه . و كان تغيير النظام هو القضية المركزية لأطراف الحراك ، غير أن أجنحة المعارضة هذه لم تكن قد اتفقت من قبل على ما يجب أن يكون عليه شكل النظام بعد الإطاحة بحكومة الشاه. بيد أن المرحلة القصيرة التي أعقبت تقويض النظام السياسي القديم، مهدت تفاعلاتها إلى سيطرة القوى الدينية على المسار الجديد. وبناء على حجم الدور القيادي التحريضي الذي كان يقوم به الخميني وقتها، ولما يتمتع به من رمزية دينية طاغية، فقد بُني النظام السياسي الإيراني على أسس دينية، وعليها تمت صياغة الدستور.
- (2) اختلف الفقه حول القيمة القانونية لمقدمة الدساتير عموماً . فهناك اتجاه يذهب إلى أن مقدمة أو ديباجة الدستور تتمتع بقوة قانونية معادلة لمواده، وهي جزء منه . أما الاتجاه الثاني فيميز في مضامين المقدمة بين ( إحكام وضعية ) تنتمي بمظهرها وجوهرها الى أحكام القانون الوضعي. فإذا احتوت المقدمة على هذه الأحكام، مثل " حرية الرأي والعقيدة وعدم المساس بالنظام العام " عندئذ تكون لها الصفة الإلزامية. وبين إحكام منهجية أو توجيهية ، وهي قواعد تصور روح وضيمير الجماعة، ومثل هذه لا تعتبر قواعد ملزمة يُحتج بها
- ينظر، احمد حميد المفرجي و كطران زغير نعمة و رعد ناجي الجدة، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق ، اصدار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، 1990، ص241
- ومن جانبنا، فنحن أكثر ميلاً إلى الاتجاه الأول .
- \* شغل منصب نائب وزير الخارجية خلال سنوات الحرب الإيرانية ضد العراق في ثمانينات القرن المنصرم، وكان عضواً ومستشاراً في مجلس ، الامن القومي الإيراني، وكان نائباً عن العاصمة طهران في مجلس الشورى، ومديراً لمركز الدراسات الاستراتيجية التابع لمجلس الشورى
- (3) محمد جواد لاريجاني، إيران ونظرية ام القرى الشيعية، ترجمة وتحليل نبيل العتوم، اصدارات مركز امية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دار عمار للنشر والتوزيع ، الاردن / عمان 2017، ص 136
- (4) المصدر نفسه، ص 150
- (5) محمود سريع القلم " الأمن القومي الإيراني " مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، العدد(279) 2005 ، ص103
- (6) أناتول ليفن، أمريكا بين الحق والباطل : تشريح القومية الأمريكية، ترجمة ناصرة السعدون ، المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية 2008، ص128
- (7) عبد العزيز الدوري " العلاقات التاريخية بين العرب والإيرانيين " الورقة العربية، المقدمة الى الندوة الفكرية التي اقامها مركز دراسات الوحدة العربية عام 1996 بالتعاون مع جامعة قطر. المنشورة في كتاب، العلاقات العربية الإيرانية الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1996، ص45
- (8) مرتضى المطهري ، الإسلام وإيران، ترجمة محمد هادي اليوسفي ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ( دت ) ج/1، ص ص، 71، 86- 87 و مرتضى المطهري 1919 - 1979عالم دين ومفكر إسلامي وهو من رفاق الخميني . اسس قبل الثورة الإسلامية جمعية رجال الدين المقاتلين ( جمعية روحانيت مبارز) وكان عضواً فيها وهو من منظري الثورة و من قادتها ، عضو مؤسس للشورى الإسلامية. اغتيل في الأول من ايار 1979 من قبل منظمة الفرقان التي ظهرت بعد الثورة الإسلامية . وهي مجموعة راديكالية تعتبر إن رجال الدين قد خطفوا الثورة

- الإيرانية . وقد تم تعقيب عناصر هذه المنظمة واعدت قادتتها ويُعد يوم اغتيال مطهري يوماً للمعلم في إيران.
- (9) أحمد لواساني " العلاقات التاريخية بين العرب والإيرانيين " في كتاب العلاقات العربية الإيرانية الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل، مصدر سابق ، ص 65
- (10) غلام علي حداد عادل "صورة العرب في الكتب المدرسية الإيرانية" الورقة الإيرانية، في العلاقات العربية الإيرانية ، مصدر سابق، ص 284
- (11) عمر كامل حسن ، المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، 2015، ص 206
- (12) غلام علي حداد عادل ، مصدر سابق، ص 281
- \* نقلت التصريح وكالة رويترز والعديد من وكالات الأنباء الأخرى بمناسبة الذكرى الأربعين للثورة الإيرانية ، كما شمل بالإضافة إلى دول الجوار أجزاء من تركيا وأفغانستان وجمهورية أذربيجان والقوقاز ودول آسيا الوسطى.
- \*\* تناقلت التصريح الكثير من وكالات الأنباء
- (13) ظهرت تلك الضغوط في شكلين احتلال الأراضي الإيرانية ، ثم النفوذ السياسي لكل من روسيا وبريطانيا فقد كشفت الثورة البلشفية عام 1917 عن اتفاق ودي بين روسيا وبريطانيا أبرم عام 1907 على تقسيم إيران بينهما حيث تهيمن روسيا على مناطق إيران الشمالية الغنية ، فيما تسيطر بريطانيا على الجنوب بمخزونه النفطي. وبانتهاء الحرب العالمية الأولى، منعت بريطانيا حضور وفد إيراني إلى مؤتمر الصلح في باريس عام 1919 بحجة أن إيران لم تكن من الدول المتحاربة. وحيث إن التنافس الدولي على المصالح في إيران كان وراء الكثير من الضغوط، فقد التحقت الولايات المتحدة الأمريكية < بالركب هي الأخرى، مبتدئة دخولها بمحاولة الحصول على امتياز التنقيب عن النفط في شمال البلاد، وفعلاً فقد أبرمت اتفاقية بين البلدين عام 1922 لهذا الغرض ، إلا أن عدم مصادقة البرلمان الإيراني تحت وطأة الضغط البريطاني أحبط مرور الاتفاقية. فليس بوسع بريطانيا السماح للشركات الأمريكية الفوز بمثل هذا الامتياز، بعد أن تقلصت المنافسة البريطانية الروسية. بيد أن الولايات المتحدة أفلحت في إبرام الاتفاقية مجدداً عام 1924 وصادق عليها البرلمان الإيراني بنفس السنة. وقد استمرت إيران بعلاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية التي حرصت على أن تستأثر بالحصة الأكبر من نفط إيران . وخلال الحرب العالمية الثانية ورغم اتفاقية الحياد التي وقعتها إيران عام 1939 لكن بسبب تعاون رضا شاه مع المحور ، وبشكل خاص ألمانيا، فقد قام الاتحاد السوفيتي في الخامس والعشرين من آب 1941 باحتلال المناطق الشمالية من إيران . فيما احتلت بريطانيا الجنوب الإيراني . وفي ظل هذه التحركات التي تستبطن الكثير من النوايا كان الاهتمام الأمريكي بإيران ، يركز على عدم ترك إيران هدفاً لمخططات بريطانيا أو الاتحاد السوفيتي .
- للتفصيل ينظر، كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، توزيع مكتبة اليقظة العربية ، بغداد، 1985، ص ص 19-29 وآمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين 1906-1979، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص ص 33-34
- (14) الكتاب الأبيض حول الدفاع الوطني للصين ، منشور على الموقع <https://www.arabic.china.org.cn>
- (15) 64 مليار دولار صفقات منتدى "الحزام والطريق" .. زخم جديد للنمو الاقتصادي العالمي [http://www.aleqt.com/2019/04/27/article\\_1589146.htm](http://www.aleqt.com/2019/04/27/article_1589146.htm)

\* في مواجهة الضغوط الأمريكية، مثلاً دعا الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، في تصريح لإذاعة "أوروبا 1" في 6/11/2018 بمناسبة الذكرى المئوية للحرب العالمية الأولى، إلى إنشاء ما سماه بـ "جيش أوروبي حقيقي" للدفاع عن القارة التي قد تضطر لمواجهة قوى كبرى، مثل روسيا والصين. وقال إن على أوروبا أن **تحد من اعتمادها على القوة الأميركية**، خصوصاً بعد قرار ترامب الانسحاب من الاتفاق السوفيتي الأمريكي المشترك للحد من الأسلحة النووية، كانت واشنطن وموسكو، قد توصلتا إليه في ثمانينات القرن العشرين. وكذلك بسبب مطالبة ترامب، الدول الأوروبية في حلف الناتو بالمزيد من الإنفاق والمساهمة في الحلف. وأضاف "علينا أن نحمي أنفسنا تجاه الصين وروسيا، وحتى الولايات المتحدة الأميركية"، وحذر في الوقت نفسه من عودة "قوى متسلطة إلى الظهور" قد تعيد التسليح عند الحدود الأوروبية. وتساءل قائلاً: "حين أرى الرئيس ترامب يعلن انسحابه من اتفاقية كبرى لنزع السلاح أبرمت بعد أزمة الصواريخ في أوروبا في الثمانينات، من يكون الضحية الرئيسية؟ أوروبا وأمنها"، وفي رؤيته لأمن أوروبا اضاف قائلاً: لن نحمي الأوروبيين ما لم نقرر أن يكون لنا جيش أوروبي حقيقي. ومزيد من السيادة، داعياً الدول الأوروبية إلى **عدم الاكتفاء بالاعتماد على الولايات المتحدة**. يشار إلى أن الاتحاد الأوروبي، كان قد أسس في العام الماضي صندوقاً للدفاع بعدة مليارات اليورو بهدف تطوير قدرات أوروبا العسكرية، وجعل القارة أكثر استقلالية على الصعيد الاستراتيجي.

<https://www.skynewsarabia.com>

كما نقلت سكاي نيوز عن وكالة إنباء رويتر إن كلا من ألمانيا وفرنسا وقعتا في 22/1/2019 معاهدة صداقة جديدة بين البلدين أعربت ميركل، خلال مؤتمر صحفي مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عقب توقيع المعاهدة عن أملها في تعزيز التعاون الدفاعي مع فرنسا، والعمل معها على تشكيل جيش أوروبي موحد وتنسق السياسات الخارجية. وقالت ميركل: " نريد المشاركة مع فرنسا في تشكيل جيش أوروبي، ويجب أن ننسق سياستنا الخارجية". وأضافت: "نريد تعزيز التعاون الدفاعي مع فرنسا وتصدير الأسلحة معا". فيما قال ماكرون إن هذه الاتفاقية تأتي استكمالاً لمعاهدة الإليزيه الموقعة عام 1963 بين الجنرال ديغول وكونراد أديناور، والتي أرست المصالحة بين البلدين بعد الحرب العالمية الثانية. إذ تنص الوثيقة على تطابق في السياسات الاقتصادية والخارجية والدفاعية للبلدين وتعاون في المناطق الحدودية وتشكيل "جمعية برلمانية مشتركة" من مئة نائب فرنسي وألماني.

<https://www.skynewsarabia.com>

(16) <https://sana.sy/?p> التصريح منقول عن وكالة إنباء سانا

(17) <https://sana.sy/?p> التصريح منقول عن وكالة إنباء سانا

(18) <https://sana.sy/?p> التصريح منقول عن وكالة إنباء سانا

(19) <https://arabic.sputniknews.com/russia/20190423> منقول عن

(20) <https://arabic.sputniknews.com/russia/20190423> منقول عن

(21) [https://www.diplomatie.gouv.fr/a\\_r](https://www.diplomatie.gouv.fr/a_r) منقول عن

(22) <https://www.youm7.com/story> منقول عن

(23) <https://arabic.sputniknews.com/russia/20190423>

\* وهي بموجب المادة الأولى من معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ملزمة بالألا تنقل لأية جهة مستلمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة أي نوع من الاسلحة النووية أو أي أجهزة نووية متفجرة أو اجهزة تحكّم بمثل هذه الأسلحة المتفجرة والألا تساعد بأي طريقة من الطرق أو تشجع أو تُحرّر

أي دولة غير مانعة لأسلحة نووية على صنع الأسلحة النووية أو الأجهزة النووية المتفجرة أو أجهزة التحكم يمثل هذه الأسلحة أو الأجهزة المتفجرة أو حيازتها .  
 \*\* علما بان العجز التجاري الأمريكي أمام الصين كان قد شهد تصاعداً منذ عام 1990 حيث كان 10 مليار دولار ليصبح 84 مليار عام 2000 ليرتفع الى 274 مليار عام 2010 ثم 5 305, عام 2018 ينظر، غولين يلدرم " أمريكا تبحث عن خفض العجز التجاري الضخم مع الصين"

[www.aa.com/ar/118627https://](https://www.aa.com/ar/118627)

(24) مصدر البيانات

Riley Walters" Fact: in 2017,The U.s. and china Traded :

\$71 1billion worth Good and service

<https://nationalinterest.org/blog/the-buzz/fact-2017-the-us-china-traded>

(25) الشكل مقتبس من علي فتح الله نجاد، اوروبا ومستقبل سياستها إزاء ايران : التعامل مع أزمة ثنائية ، منشور على الموقع

<https://www.brooking.edu>

(26) الجدول من وضع الباحث ، ومصدر البيانات مقتبس من European Commission

Directorate-General for Trade

Ec.europa.eu/trade/policy

(27) كاظم هاشم نعمة ، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، المركز العربي

للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2016، ص 60

(28) نقلا عن، تريتيـا بارزي، مصدر سابق، ص 356

\* التسمية كما وردت في المعاهدة المنشئة هي " مجلس التعاون لدول الخليج العربية" بدلا من

الخليج العربي. وقد صيغت التسمية على هذا النحو تجنباً لما تثيره التسمية الصحيحة "الخليج

العربي " من حساسية لإيران في الوقت الذي تصر فيه الأخيرة على تسميته بالخليج "الفراسي".

\*\* كانت قطر أول دولة خليجية تفتتح علاقات رسمية مع إسرائيل من خلال قبول ممثليه تجارية

إسرائيلية في الدوحة . وقد أعلنت السعودية وقتها مقاطعتها القمة الإسلامية التي عقدت في

العاصمة القطرية عام 2000 احتجاجاً على وجود ممثل تجاري لإسرائيل فيها. كذلك قاطعت

السعودية القمة العربية الطارئة التي عقدت في الدوحة عام 2009 لبحث العدوان الإسرائيلي على

غزة . وما زالت قطر متسارعة في تطبيع علاقاتها مع الكيان الصهيوني فحتى كتابة هذه السطور

وفي يوم 24 آذار 2019 عزف النشيد الوطني الإسرائيلي في الدوحة نتيجة لفوز احد لاعبي

الجمباز الإسرائيليين بالميدالية الذهبية. وقد احدث ذلك ردود أفعال شعبية ضد سياسة التطبيع

التي تعتمدها قطر. وفي تقاطعها مع اغلب دول المجلس أعلنت وزارة الخارجية القطرية أن

محطة بركة النووية الإماراتية تهدد الاستقرار الإقليمي في الخليج في رسالة منها إلى مدير

وكالة الطاقة الذرية الدولية دعت قطر إلى وضع إطار عمل خاص الأمن النووي في الخليج .

والغريب في الأمر إن قطر لم تعرب عن مثل هذا القلق إزاء البرنامج النووي الإيراني.

\*\*\* يحكم هذه النقطة الخلافية اعتبار عقائدي جوهره الخلاف بين الإخوان المسلمين والسلفيين حول

طاعة ولي الأمر، فالإخوان المسلمين يُجيزون الخروج على ولي الأمر ويُجيزون تأسيس

الأحزاب، فيما يذهب السلفيين خلاف ذلك ، وهو ما يعني الكثير بالنسبة للملكة العربية السعودية

التي بدورها تدعم السلفيين في مواجهة الأحزاب القومية واليسارية. وقد أظهرت قطر أنها ماضية

في دعم الإخوان المسلمين. فبعد سقوط محمد مرسي ، استضافت قطر عام 2013 قيادات

الإخوان في اجتماع خاص بها ، مما دفع السعودية إلى إبلاغ الشيخ تميم وقد تسنم زمام الأمور ،

بضرورة انتهاج سياسة تتوافق مع دول المجلس إزاء القضايا الإقليمية ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول المجلس. ويبدو ان هذا الطلب لم يجد إذنا صاغية. وفي عام 2014 وعلى اثر تصريحات يوسف القرضاوي من قطر، واستضافة هذه الأخيرة لعدد من أعضاء جمعية الإصلاح الإماراتية المقربة من الإخوان المسلمين والمحضورة من النشاط . فقد بادرت كلاً من السعودية والبحرين والإمارات، إلى استدعاء سفرائها من الدوحة لمدة تسعة أشهر.

تطورت العلاقات القطرية الإيرانية ، بعد حرب عام 1991 (إخراج العراق من الكويت) ففي عام 2000 قام الشيخ حمد بزيارة إيران وكان أول مسئول خليجي يقوم بهذه الزيارة . أعقبها زيارة أخرى عام 2006، ويبدو أن العلاقات القطرية الإيرانية تحكمها رابطة مهمة هي أن إيران وقطر تشتركان في اكبر حقل للغاز في العالم تنتج منه قطر 650 مليون متر مكعب من الغاز يوميا . وتذكر بعض المصادر إن المسئولين الإيرانيين يبحثون اتفاقيات أمنية واقتصادية مع القطريين. ويلاحظ ان قطر كانت قد تأخرت في قطع علاقاتها مع إيران اثر الاعتداء على السفارة السعودية عام 2016

(29) هنري كيسنجر ، هل تحتاج أميركا إلى سياسة خارجية نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكاتب العربي ، بيروت 2002 ص 197 و 198

(30) Nikolay Kozhanov , Understanding The Revitalization Of Russian – Iranian Relations Carnegie Moscow Center May 2015 Carnegie endowment .org

### المصادر :

- (1) احمد حميد المفرجي و كطران زغير نعمة و رعد ناجي الجدة، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق ، إصدار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، 1990
- (2) احمد لوساني " العلاقات التاريخية بين العرب والإيرانيين" الورقة الإيرانية المقدمة إلى الندوة الفكرية التي أقامها مركز دراسات الوحدة العربية عام 1996 بالتعاون مع جامعة قطر. المنشورة في كتاب، العلاقات العربية الإيرانية الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1996
- (4) آمال السبكي، تاريخ ايران السياسي بين ثورتين 1906-1979، عالم المعرفة، الكويت 1999،
- (5) أناتول ليفن، أمريكا بين الحق والباطل : تشريح القومية الأمريكية، ترجمة ناصرة السعدون ، المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية 2008
- (6) تريتيا بارزي، حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2007
- (9) عبد العزيز الدوري " العلاقات التاريخية بين العرب والإيرانيين" الورقة العربية المقدمة إلى الندوة الفكرية التي أقامها مركز دراسات الوحدة العربية عام 1996 بالتعاون مع جامعة قطر. المنشورة في كتاب، العلاقات العربية الإيرانية الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1996،
- (10) عمر كامل حسن ، المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، 2015

- (11) غلام علي حداد عادل "صورة العرب في الكتب المدرسية الإيرانية" الورقة الإيرانية المقدمة إلى الندوة الفكرية التي أقامها مركز دراسات الوحدة العربية عام 1996 بالتعاون مع جامعة قطر. المنشورة في كتاب، العلاقات العربية الإيرانية الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996،
- (12) كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية، 1987
- (13) \_\_\_\_\_ روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2016
- (14) كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، توزيع مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1985
- (15) محمد جواد لا ريجاني، إيران ونظرية ام القرى الشيعية، ترجمة وتحليل نبيل العتوم، إصدارات مركز امية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دار عمار للنشر والتوزيع، الاردن / عمان، 2017
- (16) محمود سريع القلم " الأمن القومي الإيراني " مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، العدد (279) 2005
- (17) مرتضى المُطَهري، الإسلام وإيران، ترجمة محمد هادي اليوسفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (د ت) ج/1
- (18) هنري كيسنجر، هل تحتاج أميركا الى سياسة خارجية نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكاتب العربي، بيروت 2002 ص 197 و 198  
بحوث منشورة على الانترنت :

**Nikolay Kozhanov , Understanding The Revitalization Of Russian – Iranian Relations Carnegie Moscow Center May 2015 Carnegie endowment .org**

**Riley Walters" Fact: in 2017,The U.s. and china Traded \$711billon worth Good and service**

**<https://nationalinterest.org/blog/the-buzz/fact-2017-the-us-china-traded>**

- غولين يلدرم " أمريكا تبحث عن خفض العجز التجاري الضخم مع الصين " منشور على الموقع <https://www.aa.com/ar/118627>
- علي فتح الله نجاد " اوروبا ومستقبل سياستها إزاء ايران : التعامل مع أزمة ثنائية " منشور على الموقع <https://www.brooking.edu>
- الكتاب الأبيض حول الدفاع الوطني للصين ، منشور على الموقع <https://www.arabic.china.org.cn>

**إحصاءات منقولة عن : European Commission Directorate-General for Trade Ec.europa.eu/trade/policy**

تصريحات منقولة عن وكالات انباء:

<https://sana.sy/?p>

<https://arabic.sputniknews.com/russia/20190423>

<https://arabic.sputniknews.com/russia/20190423>

[https://www.diplomatie.gouv.fr/a\\_r](https://www.diplomatie.gouv.fr/a_r)

<https://www.youm7.com/story>

<https://arabic.sputniknews.com/russia/20190423>